على نمط أفضل، وان الثورة لا تتكرر إلا لأن الثورات من قبلها لم تحقق أهدافها. فالثورات العديدة التي شهدتها مصر، منذ اول ثورة فلاحية في الأسرة السادسة وحتى ايام اسماعيل، قبيل الثورة العرابية، رغم انها، في بعض الأحيان، كانت تستهدف الاستيلاء على السلطة المركزية، إلا انها جميعاً لم تكن تستهدف تغيير نمط الانتاج السائد والذي كان يقوم على احتكار الدولة المركزية لكل وسائل الانتاج، وبخاصة الأرض، ولقوة العمل ولناتج العمل؛ وذلك لم يكن قصوراً في هذه الثورات وإنما كان نتيجة لحقيقة موضوعية تاريخية؛ وهي ان عناصر نمط جديد للانتاج لم تكن قد نمت بعد بحيث تفرض مضموناً اجتماعياً جديداً لأي من تلك الثورات.

لذلك، فإننا إذا كنا استخدمنا كلمة ثورة او ثورات فإن ذلك لم يكن إلا مجازاً؛ حيث يصعب من الناحية العلمية تصور ثورة إلا اذا كان لها هدف سياسي هو الاستيلاء على السلطة من اجل انجاز هدف اجتماعي هو تغيير نمط الانتاج.

ولهذا، فإنه يكون من الأدق علمياً وصف ما اصطلح على تسميته بالثورات بانها كانت تمردات احتجاجية او حركات ذات اهداف اصلاحية مقرونة، في بعض الحالات، بنزوع للتحرر القومي من سلطة اجنبية.

الدين والشخصية المصرية

طوال تاريخ مصر، وحتى الثورة العرابية (١٨٧٩ ــ ١٨٨٢) لا يمكن فصل قضية الثورة عن قضية الدين. فالأيديولوجية التي سادت المجتمع، طوال ذلك التاريخ، هي ايديولوجية ثيولوجية يلعب الدين فيها دوراً رئيسياً، في صياغة القوانين الأخلاقية للمجتمع وفي تشكيل النظرة الفلسفية للعالم وفي تحديد شكل العلاقات الاجتماعية وبخاصة العلاقة بين المحكومين والحاكمين. كما ان الدين، في اكثر من حالة، كان عامل تجميع قومي ضد عدو اجنبي.

ونظراً لأن الثورات، او الانتفاضات، او محاولات الخلاص من المظالم الاجتماعية التي كانت تمارسها السلطة المركزية واجهزتها، كانت تنعكس، بدرجة او اخرى، في صيغ دينية، فإنه ينبغي البحث، اولاً، في طبيعة موقف الإنسان المصري من الدين، وفي مدى العلاقة بين الدين والواقع الاجتماعي.

يذهب بعض الباحثين المحدثين الى ان موقف الفلاح المصري من الدين يتسم بطابع نفعي؛ فهو حينما يؤدي الشعائر ويتقرب الى الله فإنما بهدف ان يبارك له الله في محصوله وامواله وماشيته[١٦] ويستند بعض الباحثين، لتعزيز هذا الرأي، بما يرصدونه لدى الفلاح المصري من موقف انتقادي من «القدر»؛ وهو ما ينفي ان يكون الاستسلام، حتى في مواجهة القدر، من سمات التكوين النفسي والذهني للفلاح. وهناك العديد من الأمثال الشعبية والأقوال المأثورة الشائعة بين الفلاحين التي تنطوي على انتقاد «القدر» فيما يتعلق بالمفارقات غير المنطقية في توزيع الثروة والجاه، وبعضها يصف القدر بأنه